

الدعاء المستجاب

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.. البقرة آية 186، فمن أين عباس رضي الله تعالى عنه؟ما قال: قالت البيهقي كتب يسمع ربنا دعاءنا يا محمد وانت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسائة عام وغلط كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية..

وقال الحسن: سببها أن قوما قالوا للشي صلي الله عليه وسلم: اقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتدابه؟ فنزلت، وقال عطاء وقتادة لما نزل قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾.. غافر آية 60، قال يا قوم: في أي ساعة ندعوه؟ فنزلت أي إذا سالك عبادي عن العبود فأخبرهم يا محمد أنه قريب يلبي على الطاعة ويحبب الداعي وأنه قريب من أوليائه بالأفضال والأتعام، لقد امر الله عبياده بالدعاء وحض عليه وسماه عبادة ووعد بانه يستجيب لهم.

فعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أعطيت أمتي ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء كان الله إذا بعث نبيا قال: ادعني أستجب لك. وقال لهذه الامه ادعوني أستجب لكم، وكان الله إذا بعث نبيا قال له: ما جعل عليك في الدين من حرج. وقال لهذه الامة: ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله إذا بعث نبي جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامة شهداء على الناس.

وللدعاء شروطه وآدابه حتى يستجيبه الله تعالى وأولها اجتناب الاعتداء للمنع من الإجابة حيث قال في آية أخرى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾، ولا يدعو الداعي يائما أو قطعية رحم وما لم يستعجل والأياكل الداعي الحرام ففي الحديث: (ما يال الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له ذلك).

وقد قال العلماء أن اجابة الدعاء لا بد لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي المدعو به، فمن شرط الداعي أن يكون علما بأنه لا يقدر على حاجته إلا الله تعالى وأن الوسائط في قبضته ومسخرة يستخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فإن الله تعالى لا يستجيب من قلب غافل لاه، وأن يكون محتجنا لأكل الحرام، والأياكل من الدعاء.

ومن شرط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة للطلب والفعل شرعا كما قال مالم يدع يائما أو قطعية رحم فيدخل في الإثم كل ما يائمه به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومقائلهم، وأما شروط الدعاء فسبعة أولها التضرع والخوف والرجاء والرؤء والخشوع والعموم وأكل الحال.

وقال ابن عطاء أن الدعاء أركانها واجتحة وأسبابها وأوقاتها فإن وافق أركانها قوي وإن وافق اجتحت طار في السماء وإن وافق مواقيته فأن وإن وافق أسبابها نجح فأركانها حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع واجتحة الصدق ومواقبته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وحفظ شرايط الدعاء أربعة أولها حفظ القلب عند الوحدة وحفظ اللسان مع الخلق وحفظ النظر إلى ما لم يحل وحفظ البطن من الحرام.

وقد قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال لأن قلوبكم قد ماتت. قالوا وما الذي أمانتها؟ قال عشر خصال قالوا وما هي؟ قال عرفتم حق الله ولم تطيعوه، وعرفتم حق الرسول ولم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن ولم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطالبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتوه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الاموات ولم تعثروا، وتركنم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس فاستخطمتم ربكم وخالفكم فكيف يستجيب الله بعد ذلك لدعائكم.

والدعاء المطلوب في كل الاوقات غير أنه في بعض الاوقات أكبر ومن هذه الاوقات السجود وعند الأذان والإقامة وبينهما في السحر وعند جلوس الخطيب بين الخطبتين ويوم الجمعة وعند نزول المطر وعند التقاء الجيشين وفي الثلث الأخير من الليل وفي المرض وفي السفر وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وفي الصيام وليلتي العيدين ويوم عرفة وهو في بعض الأماكن أجدر بالقبول في المساجد وعند قبر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وفي الروضة الشريفة وفي المسجد الحرام وفي المسجد الأقصى وفي مقام إبراهيم وفي حجر إسماعيل ووفق عزرائل وعند المزدلفة. والدعاء مقبول ولكن هناك دعوات لا يرد الله تعالى وهي دعوة الصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم ودعوة المرأة إلى أخيه في ظهر الغيب ودعوة الوالد لولده أو عليه ودعوة الإمام العادل ودعوة المسافر ودعوة الغائب للغائب ودعوة الرسل والأنبياء والصالحين والدعاء باسم الله الأعظم والدعاء بالمالور من القرآن والسنة وأثار الصالحين. والدعاء تتنوع الإجابة له فقد يعطي ثمره مطلوبه وقد يرفع الله عنه به مكروها وقد يدخر له من الكرامة في الآخرة ما هو في حاجة إليه وخير دعوة هي ما أخرها رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاعة لأمته يوم القيامة فهي ثالثة أن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا.

ومن المواقف الإيمانية في الدعاء المألور أن نبي الله موسى عليه السلام كان يرعى غنم الرجل الصالح الذي استأجره (نبي الله شعيب) فنزل بها يوما في واد يقال له وادي الذئاب، ونظر حوله فإذا بالذئاب تحيط بغنمه من كل جانب وقد أدركه النعب والنصب ولم يبق على رعيها فاجتة إلى الله يدعو دعاء المضطر قائلا اللهم أحاط به سبعة علك وسبعة تدبير وتقدت أثر ادراكك وكلت جلتي وأنت تعلم أي مؤتمن عليها رعا لي وأنتي بعصاء وثام فلما استيقظ وجد الذئاب تحيط بغنمه حتى لا تشرذ منها الشاه ووجد كبير الذئاب وقد أمسك بعصاء، فقال إني وسيدى ما هذا الذي أراه؟ فقال الله تعالى يا موسى لا تعجب مما ترى يا موسى كن لي كما أريد أكن لك ما تريد.



يَحْفَظُكَ وَتَقَدِّسُ لَكَ» أي تظهر أنفسنا لك.

وجبريل عليه السلام يسمى الروح القدس لمطهرته من العيوب في تبليغ الوحي إلى الرسل أو لأنه خلق من الطهارة، ولا يكلي في تفسير القدوس بالنسبة إلى الله تعالى أن يقال إنه منزه عن العيوب والتفانص فإن ذلك يكاد يقرب من ترك الأدب مع الله. فهو سبحانه منزه عن أوصاف كمال الناس المحدودة كما أنه منزه عن أوصاف نقصهم، بل كل صفة نتصورها للخلق هو منزه عنها وعما يشبهها أو يماثلها.

السلام

تقول اللغة هو الأمان والألمئتان، والحصانة والسلامة، ومادة السلام تدل على الخلاص والنجاة. وأن القلب السليم هو الخالص من العيوب، والسلم (يفتح السين أو كسرهما) هو السلامة وعدم الحرب، الله السلام لأنه ناشر السلام بين الأنام، وهو مانح السلامة في الدنيا والآخرة، وهو المنزه ذو السلامة من جميع العيوب والتفانص لكماله في ذاته وصفاته والفعاله.

لمثل سلامة معزوه إليه صادرة منه، وهو الذي سلم الخلق من ظلمه، وهو المسلم على عباده في الجنة، وهو في رأى بعض العلماء بمعنى القدوس.

والإسلام هو عنوان دين الله الخاتم وهو مشفق من مادة السلام الذي هو الإسلام للمء نفسه لخالفها، وعهد منه أن يكون في حياته سلما وسلاما لخن بسلمه، وتحية المسلمين بينهم هي (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

والرسول صلى الله عليه وسلم يكنى من الدعوة إلى السلام يقول: السلام من الإسلام.. افشوا السلام تسلموا.. ثلاث من جميعهم فقد جمع الإسلام: الانصاف مع نفسه، وبدل السلام للعالم، والاتفاق من الأفتار (أي مع الحاجة).. افشوا السلام بينهم.. اللهم أنت السلام، ومكث السلام، وألذ يعود السلام، فحينما ربنا بالسلام.

القدوس

تقول اللغة إن القدس هو الطهارة، والأرض المقدسة هي الظهرة، والبيت المقدس: الذي يظهر فيه من الذنوب، وفي القرآن الكريم على لسان الملائكة وهم يخاطبون الله «وَنَحْنُ سُبْحٌ

الله تعالى الملك المستغنى بذاته وصفاته وأفعاله عن غيره، المحتاج إليه كل من عدا.. يملك الحياة والموت والبعث والنشور. والملك الحقيقي لا يكون إلا الله وحده، ومن عرف أن الملك لله وحده أبى أن يذل مخلوق، وقد يستغنى العبد عن بعض أشياء ولا يستغنى عن بعض الأشياء فيكون له نصيب من الملك، وقد يستغنى عن كل شيء سوى الله، والعبد ملكته الخاصة قليلة.. وجنده شهوته وغضبه وهواه.. وريته لسانه وعيناه وباقى أعضائه. فإذا ملكها ولم تملكه فقد خال

أولا.. وبالإلهاية إلى الإيمان وأسباب السعادة. ثانيا.. والإسعاد في الآخرة. ثالثا.. والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعا.. الرحمن هو المنعم بما لا يتصور صور جسسه من العباد، والرحيم هو المنعم بما يتصور صور جسسه من العباد

الملك

الملك هو الظاهر بعز سلطانه، الغنى بذاته، المتصرف في اكوانه بصفاته، وهو المتصرف بالأمم والنبي، أو الملك لكل الأشياء،

تعالى في طباع الناس الرقة وتفرّد بالإحسان. ولا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى، إذ هو الذي وسع كل شيء رحمة، والرحيم تستعمل في غيره وهو الذي كثرت رحمته، وقيل إن الله رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وذلك أن إحسانه في الدنيا يعم للمؤمنين والكافرين.. ومن الآخرة يختص بالمؤمنين.

اسم الرحمن أخص من اسم الرحيم، والرحمن نوعا من الرحمن، وأبعد من مقدور العباد فالرحمن هو العطوف على عبياده بالإيجاد..

الرحمن الرحيم

الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة في الأصل رقة في القلب تستلزم النقل

والإحسان، وهذا جائز في حق العباد، ولكنه محال في حق الله سبحانه وتعالى، والرحمة تستدعى مرحوما.. ولا مرحوم إلا محتاج. والرحمة منطوية على معنيي الرقة.. والإحسان.. فرق

أكل مال اليتيم

قال تعالى في شأن أموال اليتامي ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾..مباردة قبل بلوغهم، ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾..

قال العلماء: فكل ولي ليتيم إذا كان فقيرا فاكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحة، وتنمية ماله فلا يباس عليه، وما زاد على المعروف أربعة اقوال:

الأول: إنه الأخذ على وجه القرض.

والثاني: الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

والثالث: إنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عيلا.

والرابع: إنه الأخذ- عند الضرورة -فإن أبسر قضاء، وإن لم يوسر فهو في حل.

حكى عن بعض السلف قال: كنت في بداية امري - مكيا على المعاصي وشرب الخمر، ففكرت يوما بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسننت إليه وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام، وأزلت شعته، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر، فبت ليلة بعد ذلك، فرايت في النوم أن القيامة قامت، ودعيت إلى الحساب، وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي.

فصحتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار، وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرؤنني سحبا إلى النار.. وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني في الطريق، وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي، فإنه قد أحسن إلى وأكرمني، فقالت الملائكة: إنالم تؤمر بذلك، وإذا النداء من قبل الله -تعالى- يقول: خلوا عنه فقد وهب له ما كان منه بشقاة اليتيم وإحسانه إليه.. قال: فاستقبلت وتب إلى الله - عز وجل - وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى اليتام.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «صنائع المعروف: تقى مصارع السوء وصدقة السر: تطفى غضب الرب، وصلة الرحم: تزيد في العمر».

المؤمن يحب الله ورسوله

وهذا التجرد ليس مطالبا به الفرد وحده بل الجماعة والأمة كلها والدولة فلا يجوز أن يكون هناك اعتبار لعلاقة أو مصلحة يرتفع على مقتضيات العقيدة في الله ومقتضيات الجهاد في سبيل الله.

ولقد عرف الرجل الأول تلك المعاني وآتموا بها إيمانا راسخا فلم يجعلوا لمحبة الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله شيئا يوازها بل إنهم أفردها في الميدان وحدها فاستحقوا أن يكونوا رباةين.

ومن هذه المواقف التي أتروا فيها محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله موقف أم حبيبة أم المؤمنين بنت أبي سفيان حينما جاءها أبوها أبو سفيان ليقدم اعتذاره وأسفه لرسول صلى الله عليه وسلم عما فعلت قريش من مناصرتها حلفائها من قبيلة بكر على خلافه رسول الله من خزاعة وبخل ببيتها وجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فطوت الفراش عنه وسألهما عن سبب ذلك قائلا: يا بنتي ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ فقالت له: والله لقد أصابك بعدي شر. ومن المواقف التي تتجلى فيها الإيمان وحب الله ورسوله ما حدث من عمر بن الخطاب لخاله العاص بن هشام بن المغيرة حينما لقيه في الصف يوم بدر قاموهى عمر عليه بسيفه حتى قتله.

ومن هذه المواقف الإيمانية ما حدث

ولا عليه أن يتخذ الأموال والمتاجر والمساكن ولا عليه أن يستمتع بزيئة الله والطيبات من الرزق في غير سرف ولا مخيلة بل يكون المتاع فيها آتذ مستحب باعتباره لونا من ألوان الشكر لله الذي أنعم بها ليمتع بها عبادهم وهم يذكرون أنه تعالى المنعم الوهاب.

وعكذا يجب أن تنقطع أواصر الدم والنسب إذا انقطعلت أصرة القلب والعقيدة، وتبطل ولاية القرابة من الأسرة إذا بطلت ولاية القرابة من الله، قلله الولاية الأولى والآخرة وفيها ترتبط البشرية جميعا، فإذا انعدمت فلا ولاية بعد ذلك والحبل مقطوع والعروة منقوضة.

والقرآن لا يخفى بتقرير المبدأيل إنه

ياخذ في استعراض ألوان الولشائج والطامع والذائد ليضعها كلها في كفة ويضع العقيدة في كفة الآباء والأبناء والإخوان والعشيرة وهي وشيجة الدم والنسب والقرابة والنزواج. فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة على أن يكون مستعدا

لتيئها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.

وليس المقصود انقطاع المؤمن عن ذي رحمة، بل إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب ويخلص لها الحب وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة وهي الحركة والدافعة فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة على أن يكون مستعدا لتيئها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.

وفي الكفة الأخرى حب الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله، الجهاد بكل مقتضياته وبكل مشقاته وما يتبعه من تعب ونصب وتضييق وحرمان وألم وتضحية وجراح واستشهاد لأنه جهاد في سبيل الله مجردا من الصبت والذكر والظهور والمباهاة والفخر والخيلاء.

الشرك بالله.. أكبر الكبائر

النار، كما أن من آمن بالله ومات مؤمنا فهو من أصحاب الجنة إذ عذب بالنار.

ومن الشرك الأكبر:

- الذبح والنذر لغير الله.

- السحر والكهانة والعرافة.

- اعتقاد النفع في أشياء لم تشرع: كاعتقاد النفع في الثنائم والعزائم ونحوها.

- الطواف حول القصور وعبادتها بالإنسانة بأصحابها، باعتقاد أنهم يتقونهم ويقضون لهم حاجاتهم. وهكذا دعائهم ونداءهم عند حصول الكربات والمكروهات.

- تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله.

أما النوع الثاني من الشرك: الرباء

أكبر الكبائر.. الشرك بالله تعالى، وهو نوعان:

أحدهما: أن يجعل لله ندا ويعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله تعالى.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. ومن مات مشركا - والعياذ بالله، حرم الله عليه الجنة وماواه أنارا.

قال تعالى: «أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار».

والآيات في ذلك كثيرة، فمن أشرك بالله مات مشركا فهو من أصحاب